العدد 11 صيف 2011

الفن المعاصر

مجلة علمية فصلية محكمة - تصدر عن أكاديمية الفنون

العدد 12 خريف 2011

أكاديمية الفنون
ACADEMY OF ARTS

- المرأة المصرية على الشاشة السينمائية
- دور الموسيقى فى تعميق مفاهيم التعايش بين الحضارات
- الرقص الذى يؤدى فى القصور
- الألعاب الشعبية المصرية

- أسعد نديم ..
عاشق الفن الشعبى والحرف اليدوية

- زكى نجيب محمود ..
الفن بين النقد والتذوق

- متابعات فنية
مسرحية - سينمائية - تليفزيونية

مع العدد
ملحق ٢٥ يناير

الفن المعاصر

AL-FANN AL-MOASER

فصلية علمية محكمة

تصدر عن أكاديمية الفنون

الفن المعاصر
AL-FANN AL-MOASER

فصلية علمية محكمة

تصدر عن أكاديمية الفنون

أكاديمية الفنون
ACADEMY OF ARTS

رئيس التحرير
أ.د سامح مهران

مدير التحرير
أ.د حسن عطية

مستشارو التحرير
حسب الترتيب الأبجدى

أ.د . أحمد مرسى
أ.د . جابر عصفور
أ.د . صلاح قنصوة
أ.د . عادل عفيفى
أ . على أبو شادى
أ.د . فوزى فهمى
أ.د . لندا فتح الله
أ.د . نهاد صليحة

التصميم والإخراج
هانى صبرى

المدير الإدارى
عبد الستار عمار

مراجعة لغوية
صفاء عباس

جمع وتصحيح
خالد الجندى
ميرفت عباس
أمانى العطار

قواعد النشر بالمجلة

- المقالات والدرسات والمواد المقدمة للنشر بالمجلة تكتب خصيصا لها .
- تراعى القواعد العلمية المعمول بها فى كتابة المصادر والمراجع كما تراعى قوانين حماية الملكية الفكرية .
- تسلم أصول الصور والأشكال والرسوم والنوت الموسيقية مع الموضوعات .
- المادة المقدمة للنشر لا تعاد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
- يخضع ترتيب الموضوعات لاعتبارات فنية .
- للمجلة مراجعة أصحاب المقالات والدراسات لإجراء تعديلات تراها المجلة ضرورية .
- الدراسات المقدمة من أعضاء هيئة التدريس تمهيدا لتقديمها للجان الترقيات تراجع فى شأنها القواعد المنظمة للتحكيم المعمول بها فى الأكاديمية .

كتاب العدد

الكويت	عبد الله الغيث
الأردن	مخلد نصير
	على فياض
السودان	عصام أبو القاسم
مصر	محمد عبد العزيز السيد
مصر	ثناء هاشم
مصر	هناء نجيب
السودان	الفاتح حسين أحمد
مصر	كمال يوسف على
مصر	حسام محسب
مصر	عطارد شكرى
مصر	محمد شيحة
مصر	حسن يوسف طه
مصر	عبد الفتاح غبن
مصر	حاتم حافظ
مصر	محمد سمير الخطيب
العراق	منصور نعمان نجم

ملحق العدد

العدد 11 صيف 2011

الفن المعاصر

AL-FANN AL-MOASER

العدد 12 خريف 2011

فى هذا العدد

- دعوة على العشاء 07
- المخرج المغربى الطيب الصديقى 13
- حركة المسرح السودانى اليوم 39
- دلالة المكان فى الفيلم البوليسى 55
- المرأة المصرية على الشاشة السينمائية 75
- الرقص الذى يؤدى فى القصور 109
- راهن النقد الموسيقى السودانى 131
- دور الموسيقى فى تعميق مفاهيم التعايش بين الشعوب 149
- الألعاب الشعبية المصرية رؤية تصنيفية 167
- مأساة البطل بين الحقيقة التاريخية والخيال الفنى المسرحى 203
- أسعد نديم... عاشق الفن الشعبى والحرف اليدوية 233
- أحمد الفار ... المسرحية الهزلية عند نجيب الريحانى 241
- زكى نجيب محمود ... الفن بين النقد والتذوق 257
- جورج أبيض ... وقصته مع الحياة والفن والمسرح الذى أحبه 271
- الخطيب والحفر فى مفاهيم المسرح التجريبى 289
- تقنية التناص فى الخطاب المسرحى 293
- المونتاج فى النص المسرحى 301

5

55

107

129

165

231

287

299

317

357 341 319

تنويه :

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة .

قيمة الأشتراك السنوى : داخل مصر (٤٠ جنيهاً) – الدول العربية (٤٠ دولار) – أوروبا (٥٠ دولار) – أمريكا (٦٥ دولار).

ترسل الاشتراكات بحوالة بريدية حكومية باسم : السيد أمين عام أكاديمية الفنون (شارع جمال الدين الأفغانى– الهرم – الجيزة – جمهورية مصر العربية.... للأستفسار : تليفاكس : ٠٢٣٥٦٢٤٣٩١.

URL: www.aoa.edu.eg E.mail : alfann–almoaser@aoa.edu.eg

فى البدء تكون الكلمة

ثم يجيء فعل الإبداع

خططنا لهذين العددين الصادرين فى مجلد واحد ، كى يصدر أولاهما فى شتاء العام الماضى ، ويصدر ثانيهما فى ربيع هذا العام ، غير أن تفجر أحداث الواقع العربى الثائرة ، رحلت صدورهما، وجمعت بينهما ، كى تتاح لقارئهما فرصة قراءتهما على ضوء ما حدث ومازال يحدث، وقراءة ما حدث ويحدث عبر أفكار كتاباتهما وأساليبهم · فالقراءة النقدية للإبداع والبحث فيه ، لا تنفصل لحظة عن حركة الواقع ، الذى يقرأه الإبداع بدوره من زاوية مغايرة ، مما يضع على الكتابة النقدية والبحثية عبء قراءة الواقع الماثل على الأرض ، والواقع المتمثل فى بنية فنية / أدبية ، وتثير فى الذهن فكرة (المرجع) المعتمد عليه فى هذه القراءة النقدية ، والتى تسمح بفك علامات العمل الفنى وإعادة تركيبها فى بنية نقدية ، تسمح بتفسير الإبداع وفهم أسراره والإمساك برسائله المضمرة ، وإدراك دوره فى تأخير المجتمع أو تثبيت بنيته أو دفعها للتغيير·

هذا التغيير الذى نادت به هبات الشباب العربى وألتفت حولها شرائح المجتمع الشاخصة للأمام ، وسعت فئات سياسية وعقائدية لسلب التغيير من محتواه المتجاوز لما هو قائم ، والانتقال لمرحلة تالية أكثر تقدما ، وجعله مجرد هدما لأنظمة فكرية دون بناء جديد ، أو إحلال أنظمة قديمة محل الفراغ الناتج عن عملية الهدم ، مما خلق نوعا من (التميع) الفكرى على أرض الواقع، وحبس الإبداع داخل حقل التوثيق لما حدث ، والغناء بما تم ، والبكاء على من راح ، دون قدرة على التبصر فى (جوهر) ما حدث ، والقبض على القانون الموضوعى الكامن خلفه ، من أجل صياغة أسس التغيير المطلوب تحقيقه لهذا المجتمع الذى ثار على أنظمته ، فهو لم يثر لمجرد تغيير الواجهة ، ولم يتحرك بهدف استعادة الماضى الذى ولى – مهما كانت قيمته فى الماضى السعيد – بل هو انتفض لعجز بنية الراهن عن تلبية احتياجاته الحاضرة وآماله فى مستقبل أفضل ، وهو يطالب مثقفيه ومبدعيه بحقه عليهم فى إنارة الطريق أمامه ، ألم يعلمهم لكى يكونوا طليعته ؟ ، ودور الطليعة ليس تطوعا ، بقدر ما هو مسئولية تجاه من علمه وثقفه ودفعه ليحتل موضعه فى المقدمة ، ومسئولية تجاه الغد الذى يطالبه بالفعل الجاد للوصول إليه ·

فى البدء كانت الكلمة ، كان وجودها المشرق ، وفيما بعد يكون فعل الإبداع المعبر عن صدق الكلمة وقدرتها الفذة على التبصر ، وإمكانياتها فى توعية العقل المثقل بهموم اللحظة المعيشة ، كى يدرك أن لا أحد يبدع بهدف الإبداع ذاته ، ولا يجرب لمجرد التجريب فى حد ذاته ، ولا يُنظر بكلمات غامضة ملتبسة ، بل هو يفعل كل هذا من أجل مجتمع أكثر تماسكا ، ووطن أكثر تقدما، وزمن لن يرحم من تأخر عن اللحاق به ، ولعلنا بهذا المجلد المزدوج نكون خطونا خطوة نحو هذا الغد القادم بتوجهه لا محالة ·

التحرير

لا أحد يبدع بهدف الإبداع ذاته ، ولا يجرب لمجرد التجريب فى حد ذاته ، ولا يُنظر بكلمات غامضة ملتبسة ، بلهو يفعل كل هذا من أجل مجتمع أكثر تماسكا، ووطن أكثر تقدما، وزمن لن يرحم من تأخر عن اللحاق به.

مسرح

- دعوة علي العشاء 007
- المخرج المغربي الطيب الصديقي 013
- حركة المسرح السوداني اليوم 039

لوحة وسام الفارس للفنان البريطاني آدموند بلير ليتون

حركة المسرح السوداني اليوم

عصام أبو القاسم
▪▪▪ السودان

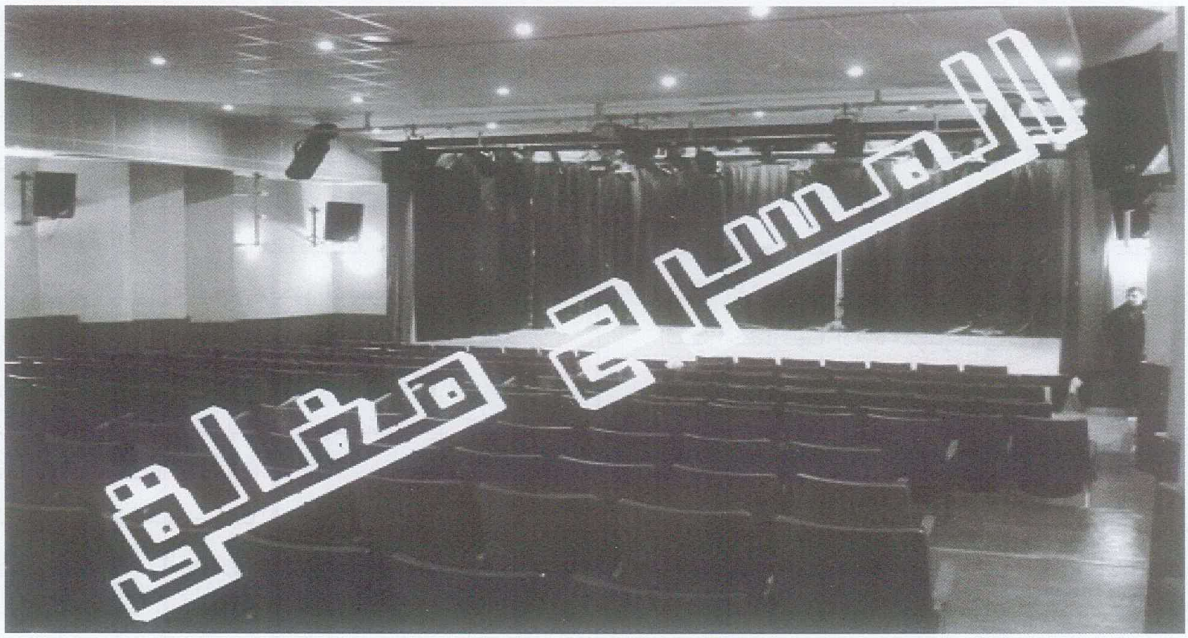

ثمة قصة أرى أن سردها فى مقدمة هذا التقرير قد يكون مفيداً؛ وتتعلق بتجربة فرقة مسرحية سودانية شاركت أخيراً فى مهرجان دمشق للفنون المسرحية " الدورة ١٥"؛ وعانت معاناة كبيرة حتى تصل إلى هناك وتقدم ما لديها.

إذن ، مع نهاية السنة، تحديداً ٢٥ نوفمبر ٢٠١٠ ، غالبت فرقة " المسرح التنموى" السودانية ظروفاً بالغة السوء حتى تصل بمسرحيتها " ماتسابا .. الرقصة الأخيرة" إلى مهرجان أيام دمشق للفنون المسرحية.

كان على الفرقة "المستقلة" أن تطرق كل الأبواب حتى توفر لأفرادها تذاكر الرحلة. وفى اليوم الأخير، وهو يصادف اليوم السابق للموعد المفروض لعرض المسرحية فى المهرجان، حصلت الفرقة، بعد إلحاحٍ شديد من مخرجها، على تبرعٍ من وزير الثقافة بالتذاكر وبنثرية لا بأس بها، وسارعت، من بعد، إلى لملمة أمورها حتى تنجز الإجراءات المتعلقة بتأشيرات الخروج والإعفاءات المؤقتة للخدمة الوطنية وسواها من تفاصيل مقررة من قِبل وزارة الداخلية على كل مواطن يرغب فى السفر إلى الخارج. استغرقت هذه الإجراءات وقتاً ليس بالقصير بالطبع، وانتهت، فى اليوم التالي، بعد زمن الحضور إلى المطار. إلا أن الطائرة، ولسبب ما، تأخرت لتتمكن الفرقة، فى النهاية، من الوصول إليها. طبعاً، بعد الموعد المقرر للسفر!

بيد أن الأمر لم ينته هنا؛ فلقد رفضت طائرة الخطوط القطرية شحن ديكور المسرحية بحجة إنه "قابل للاشتعال"! وهو يتكّون من " القش والقصب وبعض الأعواد"، وهي مواد قد لا تتوافر فى دمشق، وحتى إن توفرت قد لا يسعف ضيق الوقت فى العثور عليها ؛فالقرقة ستقدم عرضها غداً. لم تقتنع إدارة الخطوط بالمناقشة ورأت أن سلامة الركاب أهمّ من العرض!

فى الأساس، ما كان على الفرقة أن تصعد إلى طائرة الخطوط القطرية؛ فهي تسلك الطريق الأطول من الخرطوم إلى دمشق وثمة سبع ساعات "ترانزيت" فى مطار الدوحة، ولكنها كانت الخيار الوحيد المتاح بعد أن حصلت الفرقة على تمويل التذاكر. كل الخطوط الأخرى كانت إما مزحومة أو مؤجلة!

إذن، كانت رحلة متعبة، بكل ما تحمل الكلمة من معني. وامضت الفرقة السبع ساعات منتظرة الرحلة المتوجهة إلى دمشق، فى مقاعد ذلك المطار الكبير وبمكيفاته الهوائية الباردة، انتظرت منهكة بمشاوير الأيام الفائتة وسيرة ملاحقة التذاكر والبروفات، ومشاعر القلق من الفشل فى السفر. وبعد فاصل مضنٍ من المعاناة ، وصلت إلى دمشق فجر يوم ١ / ١٢ ، وحلت بفندقٍ متواضعٍ جدا، فى مركز المدينة، عند الرابعة صباحاً، تعبة ومسهدة. وليت الأمر انتهى هنا!

ثمة مضيف فى الفندق، يبدو أنه كان قلقاً على ميزانية المهرجان، أخذ زمناً طويلاً فى عدّ أفراد الفرقة . وهي جاءت ناقصة عن العدد الرسمي . وفرز الغرف بينهم، بحيث تطلع حسبة الغرف المؤجرة متقشفة جداً وقد دخل فى نقاش مطول حتى ينجح!

عند الساعة العاشرة صباحاً، أي بعد ست ساعات من تلك الرحلة الطويلة، كان على المخرج وفني الديكور أن يتجولا فى مخزن ضخم بمديرية المسارح بحثاً عن الديكور، وبعد ذلك كان عليهما وبقية الفرقة التوجه إلى معاينة خشبة المسرح التى اختارتها إدارة المهرجان للعرض، وإجراء بروفة

لـ (التمثيل والضوء والموسيقي..)، ويقع المسرح فى منطقة بعيدة عن مركز المدينة.

كان الوقت يمر بسرعة، وفريق العمل يعمل بأكمله فى كل شئ تقريباً، فى إعداد الديكور، واختبار الصوت والضوء وكل شيء. وعندما حل المساء، وفى الموعد بالضبط، انتظر المخرج إشارة مدير الصالة لإغلاق الأبواب وبدأ العرض. لكن، لم يكن فى الصالة سوى قلة من أسرة السفارة السودانية فى دمشق وعمال الديكور والنظافة بالمسرح!!

لم يأت الجمهور.

لا جمهور فى هذه المنطقة، قال أحد العمال السوريين، وأضاف: إدارة المهرجان لا توفر حافلات لضيوف المهرجان حتى يصلوا إلى هنا؛ فكيف لهم أن يعرفوا أو يصلوا وهي منطقة بعيدة!.

والمشكلة الأخرى، فى ما لاحظتُ، إن ثمة عروضًا عربية - ونعني من خارج سوريا - قُدمت فى ذات التوقيت، أو فى ذات الساعة، فى مسارح بمركز المدينة، وتوجه إليها كل الجمهور؛ فما الذى يحمله على قطع المسافة إلى منطقة مشروع دُمر النائية ؟!

وبعد تردد طال كثيراً، رأى مخرج العمل عطا شمس الدين أن يكرم حضور أعضاء السفارة السودانيّة، ودعا فرقته إلى تقديم العرض.

يمكن للجميع أن يتوقع كيف كان مستوى العرض إذا نظر إلى الخلفية، أى ما واجهته الفرقة من ظروف سيئة جداً قبل وصولها. من الصعب، طبعاً، أن تكون الأمور على ما يرام مع ما حصل، أليس كذلك؟!

الفرق المسرحية المستقلة

على أن ما حصل يوشك أن يكون يومياً ومعتاداً. على الأقل فى العقدين الفائتين، و بخاصة وسط الفرق المسرحية المستقلة، فكلها تعانى المشكلات ذاتها، سواء فى سعيها إلى مشاركة خارجية أو فى اجتهادها إلى تقديم عرض محلى. فى كل حال، هى تعانى ولا تجد جهة تدعمها أو تسعفها فى اختبار طموحاتها إلا فى ما ندر. ويمكن القول أن هذه الفرق غالباً ما تكون مشاريعها ناقصة وضعيفة، حتى على الصعيد الفنى، بسبب الافتقار إلى الدعم، بل أن بعضها ما يلبث أن ينهار ويوقف نشاطه كليةً تحت ضغط الحاجة إلى تمويل!

ولعل من أكثر المشاهد لفتاً فى سياق حاجة الفرق المستقلة إلى تمويل، هو فشل فرقة مسرحية " الأرض" التى حازت على أغلب جوائز" مهرجان أيام البقعة المسرحية " فى الحصول على تذاكر رحلة إلى القاهرة للمشاركة بالدورة ١١ لمهرجان " الرقص المسرحي الحديث" الذي نُظم بالعاصمة المصرية في الفترة "١٦ يونيو - ٥ يوليو". وعلى رغم أن تكلفة الرحلة (الخرطوم/ القاهرة) نحو ١٥٠٠ دولار، إلا أن فريق العمل " قليل العدد" و الذي يقوده المخرج محمد نعيم سعد، لم يستطع جمعها وضاعت أول مشاركة سودانية في المهرجان.

الحال، إلى وقت قريب ما كان المشهد المسرحى السوداني ينشط إلا بحراك المسرح الرسمي " المسرح القومي" الذي تأسس فى العام ١٩٥٨ وحقق أولى أنشطته فى ١٩٥٩، لكنه وقتذاك كان مخصصاً لإقامة حفلات الإذاعة ومع النصف الثاني للستينيات تولى إدارته المخرج المسرحي الراحل الفكي عبد الرحمن ودشن ما عُرف بـ " المواسم المسرحية" وكانت عبارة عن نشاط مسرحي راتب، تموله الدولة، واستمر لسنوات، لكن دائرته انغلقت فى النصف الثاني من الثمانينيات ودخل المسرح السوداني بعدها إلى حالة من التدهور تفاقمت كثيراً فى التسعينيات، ومرت أوقات كان من الصعب فيها الحديث عن حركة مسرحية سودانية، وصولاً إلى عام ٢٠٠٠م حين انطلق "مهرجان أيام البقعة المسرحية" فى أولى دوراته، بمبادرة خاصة من الممثل علي مهدى نورى الذى فلح فى استقطاب الدعم من المؤسسات الثقافية الرسمية، وخلق علاقات مهمة مع مؤسسات مسرحية دولية مثل الهيئة الدولية للمسرح وبعض المعاهد والمراكز المسرحية العالمية ونجح فى ترسيخ مهرجانه على نحو لافت. وعلى رغم إحجام الأكثرية من المسرحيين السودانيين، بخاصة الكبار، عن المشاركة فيه بدعوى علاقته بالنظام الحاكم وبدعاوى أخرى تتعلق بعلاقاتهم الشخصية بصاحبه " علي مهدى" إلا أن المهرجان أحرز حضوراً كثيفاً وتابع دوراته مقدماً العديد من الأسماء الشابة فى الإخراج والتمثيل والنقد، وخلال تسع سنوات تالية حافظ المهرجان على موعده "٢٧ مارس إلى ٤ إبريل" فى حال من التطور والانفتاح لا بد أنها أثرت إيجاباً على

المردود العام للمسرح السوداني، وعلى رغم ما يثار حول مصادر دعمه ونزعة رئيسة إلى الحلول فى المواقع والمناصب العامة إلا أن مهرجان البقعة يعد النشاط المسرحي الأبرز والأهم فى السودان طيلة السنوات الفائتة، وخصوصاً فى السنة التي يغطيها التقرير، كما سنفصل لاحقاً.

وبموازاة نشاط مهرجان البقعة، ثمة فرق مسرحية شابة، فى أغلبها مكونة من خريجي كلية الدراما بجامعة السودان، كانت تحاول، منذ أواخر التسعينيات، تقديم نفسها وشغل الفراغ الذى حصل بغياب مجموعة من الفرق المسرحية الشابة التي كانت ظهرت فى الثمانينيات إلا أن التحولات التي حصلت فى المشهد السياسي خلال فترة التسعينيات عصفت بكوادرها انكفاءاً أو اعتزالاً أم هجرةً إلى دول الخليج وأوروبا. وهى لم تلبث كثيراً وغابت تماماً عن المشهد تباعاً، ونذكر منها، تخصيصاً، جماعة " السديم" التي كانت تضم نخبة من الأسماء المسرحية المهمة وقتذاك.

"شوف" و" النفير" و " الجمام" هذه أسماء الفرق المسرحية المستقلة التي ظهرت أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات ولكنها عجزت عن الاستمرار بتجاربها، وأعقبتها، بدءاً من العام ٢٠٠٠م، فرقا أخرى مثل " ملتقي المشيش" و " المسرح التنموي" و " الورشة المستمرة لتطوير فنون العرض" و " جماعة السودان الواحد" وسواها، وهذه تعمل الآن، كى تقول كلمتها، لكن ضمن شروط فى غاية التعقيد؛ فالدولة رفعت يدها تماماً عن دعم الفنون وباتت تعمل بسياسة " الدولة ترعى الثقافة ولا تنتجها" وهي سياسة أضرت كثيراً بالإنتاج الثقافى وبخاصة الإنتاج المسرحي. وقد مرّ بنا، فى مفتتح التقرير، ما واجهته فرقة "المسرح التنموى" فى سبيلها إلى مهرجان دمشق، وما كان لذلك أن يحصل طبعاً لو أنها توفرت على الدعم كما ينبغى أو فى وقته وكما يلزم.

الحال ذاتها يمكن تعميمها على بقية الفرق الأخرى.

عموماً، لا يمكن القول أن هذه الفرق المسرحية المستقلة شكّلت أو بلورت تياراً مسرحياً مهماً؛ فهى بالكاد تتعين أو تظهر فى مدينة الخرطوم، ومدارها غالباً ما يكون فى نطاق الوسط المسرحي ولا يمتد إشعاعها المسرحي لأكثر من هذه الدائرة الضيقة. إذن، لا يمكننا الكلام عن تأثير كبير أحدثته - كيف لها تفعل؟ - ولكن لا شك إنها ساهمت، بطريقة ما، فى الإبقاء على انشغال بعض المسرحيين بأبي الفنون، أبقت على آمالهم فى أن الغد قد يكون أفضل.

إذن، ما عاد المسرح، بدءاً من التسعينيات ولغاية الفترة التي يغطيها التقرير، من أولويات الدولة.انتهى عهد تنظيمها للعروض المسرحية الراتبة. إلى ذلك، المسرح مهمل من قبل مؤسسات القطاع الخاص ولا يجد أي شكل من أشكال الدعم سواء من الشركات التجارية الكبرى أو مؤسسات المجتمع المدني، خصوصاً الوطنية منها.

من يموّل الفرق المستقلة ؟

الفرقة القومية للتمثيل

قبل الإجابة على السؤال الفائت، نشير إلى أن ثمة فرقة مسرحية رسمية " الفرقة القومية للتمثيل" وهى تضم نحو ٤٠ من الممثلين المتخرجين من كلية الدراما، وقد أسسها (فى سنة ٢٠٠٠م) المخرج مكي سنادة عندما كان مديراً للمسرح القومي وجعل لكل عضو فيها راتبه الشهري كموظف، ومن الامتيازات الأخرى التى منحت إلى الفرقة أن كل عروضها ممولة من الدولة. وعلى رغم بداياتها الجيدة إلا أن إقالة سنادة من إدارة المسرح، ثم تدهور الموازنة المخصصة للمسرح القومي وافتقاره الدعم، كل ذلك أضعف إمكانيات الفرقة كثيراً. ومضت فى حال من التدهور، من عام لآخر. ومرت سنوات عدة عجزت الفرقة

خلالها عن تقديم أي عرض مسرحي، وهي بالكاد كانت تتمكن من الوفاء بموعدها فى بعض المهرجانات العربية، بخاصة مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي.

الشاهد، أن الفرقة لم تقدم سوى مشاركتين فى مهرجانين عربيين خلال العام ٢٠١٠ ، ومشاركتها الأولى كانت فى مهرجان " ٢٤ ساعة مسرح دون انقطاع" فى ٢٦ ـ ٢٧ مارس فى المملكة المغربية بمسرحية " خيوط الأفق" تأليف دفع الله حامد وإخراج حاتم محمد علي. أما مشاركتها الثانية فكانت فى "مهرجان الجزائر للمسرح المحترف" ٢٤ يونيو إلى ٤ يوليو بمسرحية " طائر الصدى المفقود" تأليف عثمان جمال الدين وإخراج عادل حربي.اللافت أن العملين من إنتاج سنة ٢٠٠٩ ؛ وبهذا يصح القول أن "الفرقة القومية للتمثيل" لم تقدم عملاً جديداً خلال فترة التقرير.

مصادر تمويل الفرق المستقلة

ولئن كان هذا هو حال الفرقة الرسمية، الفرقة التى تمولها الدولة، فكيف الحال وسط الفرق المستقلة(ونعني الفرق المعروفة والتى تعمل منذ عشر سنوات، أقلّه)، التي لا تجد من يمول أنشطتها إلا فى عسر وعسف.

غالبية الفرق المستقلة، هي مستقلة لأنها لا تجد تمويلاً من الدولة وليس لأى سبب آخر، ولا اعتراض لديها إن دعيت للمشاركة فى البرامج المسرحية التي تقيمها الدولة ـ إن وجدت طبعا. وفى معظمها تتكون من شباب تخرجوا حديثاً في كلية الدراما ووجدوا أن المؤسسة المسرحية الرسمية، طيلة العقدين الماضيين، توشك أن تكون بلا أثر أو حضور؛ فهى لا تقيم أنشطة مسرحية راقبة يمكن لهم المشاركة فيها واختبار معارفهم المستقاة من مناهج الكلية، وهي، بكلمة، لا تعرفهم!؟.

من هنا، اتجه هؤلاء الشباب إلى تأسيس هذه الفرق لتنشيط خبراتهم، بالأساس، وللإعلان عن أنفسهم متى ما كان ذلك ممكناً. وتحايلوا على بؤس إمكانياتهم المادية بالتوجه إلى منظمات تعمل فى مجالات تنموية وصحية وإغاثية وحقوقية، غربية وعربية ووطنية، وابتكروا بخيالهم المسرحي بعض الحلول لمساعدتها فى إشاعة رسائلها الصحية والتنموية والإغاثية..، ونظير ذلك كانوا يحصلون منها على حوافز مادية تساعدهم فى إنجاز مشاريعهم المسرحية، على رغم ضآلتها. أى إنهم حوّلوا فرقهم أو بالأحرى عروضهم المسرحية إلى وسائل دعائية أو ترويجية لبرامج تلك المنظمات، ومع أن بعضهم أحتج على ذلك، فى وقت ما، إلا أن غالبية الفرق المستقلة، الناشطة الآن، لم تجد سوى هذه الطريقة للإبقاء على حضورها فى المشهد!

وخلال فترة التقرير نجد أن فرقة " الورشة الجوالة"، مثلاً، التي يقودها ربيع يوسف، شاركت منظمة "صيحة" ـ وهي منظمة لمناصرة حقوق نساء القرن الإفريقي ـ احتفالها بيوم المرأة العالمي فى ٢٢ مارس وقدمت الفرقة مسرحية " ابتدائي .. مرحلة أساس" تأليف امين صديق وإخراج ربيع يوسف، وفى ٢٧ مارس دعمت ذات المنظمة إنتاج مسرحية قصيرة للفرقة بعنوان " العايطة" من إخراج ربيع يوسف وقدمت فى إصلاحية للنساء، بمدينة أم درمان.

فرقة " المسرح التنموى" التي يقودها عطا شمس الدين هى الأخرى شاركت منظمات مماثلة وأقامت عدة أنشطة و منها ورش عمل، لعل أهمها الورشة التدريبية التي أقامتها فى شهر نوفمبر، فى إقليم شمال دارفور، بالتعاون مع منظمة "نداء التنمية السودانية"، وبتمويل من "السفارة الأمريكية"، وهدفت إلى تعليم معلمي مدارس مرحلة الأساس : استخدام المسرح فى فض النزاعات وفهم الآخر.

الفرق المسرحية الأخرى أيضًا شاركت مثل هذه المنظمات برامجها. لكن ما يجدر ذكره هنا أن أية محاولة لرصد هذا النشاط المسرحي لا بد أنها ستفشل فى حصره على نحو دقيق؛ فهو يتحرك فى فضاءات بعيدة، كل البعد، عن المركز ويستهدف دائما مناطق طرفية، مناطق لها صلة بنشاط تلك المنظمات التي تمولها.

لكن، بصورة مجملة، يمكن القول أن معظم ما يُقدم من عروض وبرامج مسرحية فى هذا الإطار يبدو بسيطاً وسهلاً فيما يعتمده من فنيات المسرح؛ فهو يتأطر، فى شكله ومضمونه، بطبيعة الجمهور الذي يتوجه إليه، وهذا الجمهور لطالما كان من النازحين أو المتأثرين بنزاعات قبائلية وفى قرى ومناطق تعانى من تدن ملحوظ فى نسبة المتعلمين وسط سكانها، إلى جانب إشكاليات أخرى تعانيها لبعدها عن المركز .

إذن، تركز غالبية الفرق المسرحية المستقلة التى تعمل هنا على ترسيخ رسائل المنظمات التي تشغلها أكثر من تركيزها على المسرح وجمالياته ودلالاته، وهي تحاول بالقليل مما تحصل عليه من تمويل أن تقيم بعض الورش العملية لتطوير قدرات عناصرها؛ فما تحصل عليه، لا يكفى، لضآلته، لتجهيز عرض متكامل فى لوازمه الفنية وبالكاد يغطى جانباً من النفقات.

" الورشة المستمرة لتطوير فنون العرض"

على أن تجربة "الورشة المستمرة لتطوير فنون العرض" التي أسسها ويقودها الممثل والمخرج سيد عبد الله صوصل منذ ٢٠٠١ ، تبدو مختلفة فى هذا السياق إذ أنها خلقت شراكة ناجحة، منذ فترة، مع منظمة مسرحية هولندية تدعى" سفارة المسرح"، بواسطة المسرحي السوداني المقيم فى أمستردام محمد ترويس، وخلال العام ٢٠١٠ أنجزا معاً مشروعاً مهماً وتمثل فى تأهيل عناصر الفرقة السودانية فى جوانب تتعلق بالإدارة المكتبية، إذ سعت " سفارة المسرح" إلى تمليك أفراد الفرقة أدوات وإمكانيات إدارية تجعلهم يستفيدون مادياً من عروضهم. لم تتوجه الفرقة، من قبل، هذه الوجهة. كانت تقدم عروضها بتكلفة الإنتاج فقط، ويشاهدها الجمهور مجاناً. وهذه العروض، عادة، تُقدم فى الشوراع والمدارس وسواها من الأماكن العامة ولا يكون فى مقدور الفرقة دائما أن تجد خشبة مسرحية "تقليدية" ـ كالتي فى المسرح القومي ـ لأسباب عدة، أهمها ما يتعلق بالتكلفة العالية للإيجار أو بصعوبة الحصول على فرصة أو برمجة من قبل إدارة المسرح إلا ضمن شروط إنتاجية معقدة ومكلفة. ومع هذه المنظمة الهولندية عرفت الورشة أن عليها تكوين هذه المكاتب الإدارية وفتح حساب بنكي، وإدارة الوقت بحساسية ودقة .. إلخ وقامت المنظمة بدعم الورشة مادياً وفنياً وانشئت معها المكتب الاداري ووفرت كل احتياجاته التقنية من أجهزة اتصال وحاسوب وملفات..، كما دعمتها لإيجار مكان ثابت، حوى صالة للبروفات وورش العمل ومكاتب لإدارة أعمال الورشة.

وبدءاً من برنامج تدريبي بعنوان " كيف تكتب سيرتك الذاتية" مروراً ببرنامج تدريبي آخر عنوانه " كيف تستقطب دعماً لمجموعتك" وبرامج أخرى عديدة مضت الشراكة بين الورشة والمنظمة الهولندية متطورة فأنجزا معاً ورشة عمل أولي حول " تصميم وتحريك العرائس" أشرفت عليها المدربة الهولندية المعروفة " هايدي" وانتهت بأول مهرجان لفن العرائس في الخرطوم وقد شهدته حدائق الملازمين في يناير ٢٠١٠ وأعقبتها ورشة عمل أخرى حول " صناعة وتوظيف القناع للعرض المسرحي" فى إبريل ٢٠١٠.

وبالتوازي مع هذه الأنشطة الفنية ثمة برنامج تأهيلي في مجال الإدارة لأعضاء الورشة ظل متواصلاً منذ فبراير إلى يوليو ٢٠١٠ موّلته " سفارة المسرح" وأحرز بعض النتائج، لعل أهمها

الاتفاق بين الورشة والمؤسسة الهولندية على إنتاج عرض مسرحي ضخم، يضم فريقاً من الفنانين السودانيين والهولنديين. وكان يفترض أن يقدم فى الشهر الأخير من العام إلا أن الظروف التي شهدها المشهد السياسي، على وقع موضوع استفتاء سكان جنوب السودان المقرر فى ٩ يناير ٢٠١١ ، حالت دون قيامه وتم تأجليه إلى وقت لاحق فى السنة المقبلة.

إجمالاً، يمكن القول عن حال هذه الفرقة، التي تعد الأكبر والأعرق والأكثر استقراراً فى المشهد الراهن للفرق المسرحية المستقلة فى السودان، إنها تمضي بصورة جيدة نحو ترسيخ تجربتها، لكن مع تطعيم هويتها المستقلة بشراكات هنا وهناك، ومع جهات وطنية وأجنبية، وبالاستفادة من ميراثها الشخصي وتجارب الفرق الأخرى فى مقاومة واقع غياب الدعم الرسمي، وغياب المنابر كـ " صالات المسارح، دور النشر، المجلات والدوريات".

إذن، خلال الفترة التي يغطيها التقرير اكتفت " الورشة .." بشراكتها مع " سفارة المسرح " وانغلقت على تلك الورش التأهيلية ولم تشترك، طيلة العام، فى اي عمل مسرحي سوى ذاك الذي رعته منظمة " صيحة"، ومرّ ذكره. لعلها فى فترة انتقالية، أو هي فى طورٍ بين مرحلة وأخرى.

من المؤسسات الثقافية الغربية التى دعمت المسرح السوداني في ٢٠١٠ المركز الثقافي الألماني الذى موّل ورشة تدريبية في ديسمبر ٢٠١٠ لمجموعة من المسرحيين الشباب تطلق على نفسها اسم " جذور"، والمجموعة حديثة التكوين" ويقودها الممثل والمخرج الشاب جاستن جون وهو شغوف بتطوير امكانيات الاداء الجسدى لدى الممثلين ويستفيد فى ذلك من الثقافات الشعبية المحلية، خصوصاً فى جنوب السودان،ويستثمر الرقصات والأداءات المصاحبة لبعض الطقوس فى تطعيم عروضه بملمح جسدي مختلف ومغاير، إضافة إلى انه ينفتح دائمًا على الثقافة العالمية ويحاول اختبار ما يعرفه في تجاربه الأدائية.

ذات المجموعة، أي جذور، كانت وجدت دعماً مع سفارة أسبانيا فى الخرطوم وقدمت عرضاً لافتاً بعنوان " إنهم ليسوا هنا" بإشراف من فرقة مسرحية أسبانيا تدعي " الحملان" فى مسرح مركز شباب أم درمان خلال شهر يونيو ٢٠١٠ .

المهرجانات المسرحية

لغاية العام ٢٠٠٤ كان مهرجان أيام البقعة المسرحية (٢٧ مارس إلى ٤ إبريل) هو الوحيد فى الساحة المسرحية السودانية، وأول دورة منه كانت في العام ٢٠٠٠. وعلى وقع برامج " الخرطوم عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٥" أحدثت وزارة الثقافة فعاليات ثقافية عدة، بينها (مهرجان أيام الخرطوم المسرحية) وقد أُعلن عنه، للمرة الأولي، علي أساس إنه مهرجان محلي سنوي، للعروض الطويلة الخاصة بالمحترفين، إلا أن ضعف الموازنة أدي إلى تأجيل دورته الثانية، لتقام في العام ٢٠٠٧ بدلاً من ٢٠٠٦، وفى الفترة من ٢٠ إلي ٣١ ديسمبر ٢٠٠٩ أقيمت دورته الثالثة ولكن دورته الرابعة لم تقم خلال ٢٠١٠ !

أما مهرجان أيام البقعة المسرحية الذي أطلقه المسرحي علي مهدى نوري في العام ٢٠٠٠ م من مؤسسته الخاصة " مسرح البقعة" فقد ظل مستمراً وبلغ دورته العاشرة فى العام ٢٠١٠. ونرى أن هذا المهرجان استفاد كثيراً من واقع غياب الفعاليات المسرحية "الرسمية"؛ فغدا الممثل الوحيد علي خشبة المسرح السوداني طيلة العقد الماضي، وهذه الوضعية مكّنته طبعاً من الحصول على أشكال مختلفة من الدعم خصوصاً من بعض مؤسسات الدولة ذات الصلة بالثقافة (الغريب إنها لا تدعم المسرح الرسمي) علاوة على مؤسسات مسرحية دولية مثل الهيئة الدولية للمسرح وسواها.

عموماً، شاهدنا فى دورة المهرجان الأخيرة (٢٧ مارس إلى ٤ إبريل ٢٠١٠) ١٠ عروض مسرحية محلية، إضافة إلى ٣ عروض دولية من (تشاد ومصر وأمريكا). وجاء المهرجان هذا العام محتفياً بمناسبات عدة، منها مرور عقد من الزمان على تأسيسه، ومرور أكثر من مئة عام على دخول فن المسرح إلى السودان، كما احتفى بتجربة الرائد المسرحي محمد شريف علي، وأصدر بمناسبة تكريمه كتابا بعنوان " محمد شريف علي : أو بلاغة الضحك" من إعداد السر السيد. كما شهد المهرجان مجموعة من ورش العمل لعل أهمها ورشة (المسرح والصحافة الفنية) التي هدفت إلى ربط الصحافيين الفنيين بمصادر المعرفة المسرحية السودانية وتمليكهم طرائق مبسطة تفيدهم في قراءة العرض المسرحي .

لكن، على رغم أن هذه الدورة بدت محتشدة بالأنشطة الثقافية الموازية وهي شهدت حضوراً جماهيرياً كبيراً، إلا أن عروضها بدت ضعيفة غالباً، خصوصاً المحلية منها ولعل ما فاقم إشكالاتها الإمكانات المحدودة لخشبة (المسرح القومي) وهي الوحيدة فى الخرطوم المؤهلة لاستقبال النشاط المسرحي ، فأجهزتها الصوتية رديئة وإضاءتها فقيرة وشحيحة في خياراتها.

وقياساً علي دورات ماضية تراجعت العروض المقدمة في المهرجان كثيراً من حيث طموحاتها الفنية بل أن بعضها بلغ به التعثر أن عجز في تحريك قطع الديكور واختيارات الأزياء والتنفيذ الموسيقي وغير ذلك مما يعد من أسس العرض المسرحي، مع أن معظمها لمخرجين عرفوا بتجارب مهمة في ما مضي لكن يبدو أن حالة الركود التي عمت المشهد المسرحي قبل انطلاقة المهرجان أثرت علي خبراتهم كثيراً فقدموا تجارب ينقصها الكثير من الضبط الفني.

وأغلب العروض السودانية في المهرجان اعتمدت علي المكتبة المسرحية المحلية عدا نصًا واحدًا هو (المستأجر الجديد) ليوجين يونسكو وأخرجه سيد أحمد أحمد، وقد تعددت الأعمال مجتمعة في مضامينها بين قضايا الحرب والنزوح والفقر والفساد لكنها بدت شحيحة في حلولها الفنية وفي هذا الإطار، يمكن نذكر، عرض (الفرن) - أي المخبز البلدي - وهو من تأليف وإخراج عطا شمس الدين، إذ بدأ بأخطاء عديدة في توظيفه قطع الديكور ما أفقد بدايته الكثير من وهجها وهو تناول بحس سياسي واضح أشواق خبّازين اثنين في تولي شأن المخبز ومثّل لنزوعهما السلطوي بتنازعهما على تولى (كوريغ). أي القيام بدور من يفرغ الفرن من الخبز بدلاً من عجن الدقيق أو تقطيعه فمن يتولي (الكوريغ) هو في مقام أكبر من غيره داخل (الفرن)، لكن المخرج والمؤلف شمس الدين، قدم رؤية متناقضة مع ما وضح من خطاب الشخصيتين المتنازعتين على تولي أمر القيادة بعد السفر الطارئ لقائدهما.. فمن تساؤلهما عن قسمتهما في السلطة و عدالة توزيع الفرص بينهما وأهلية كل واحد منهما يمضي العرض لينغلق في النهاية بعودة قائد الفرن مرة أخرى لينتهي صراع الخبازين بقبول إدارة القائد القديم للأمور؛ وباختصار يقول العمل، وفى إطار فني رتيب، إنه لا يصلح لإدارة الفرن إلا الشخص (القديم) ذاته .

أما عرض(أحلام حلة فوق) للمخرج والمؤلف عبد الرحمن مهدي وبرغم انفتاحه على فضاء مختلف إذ اعتمد شكل المسرح الدائري في ساحة مفتوحة واستثمر بعض الأغنيات والأزياء والإكسسورات الشعبية إلا أنه بدا مفككاً وهشاً في بنيته الفنية؛ فهو حوى شخصيات عديدة (نساء ورجال) لكن بلا فروق نوعية بينها فكلها تتحدث بصوت واحد ، عجز العمل عن تقديم اختلافاتها في إطار درامي متماسك وهو منذ البداية قال ما

أراد قوله، وبطريقة أحادية : هجر الناس القرى بسبب الضرائب والجبايات، وانتشروا في التجمعات العشوائية بالمدن الكبيرة لكن هنا أيضاً لاحقتهم الحكومة بالضرائب.. ففروا إلي خارج البلاد.

وفي عرض (الأرض) لمحمد نعيم سعد و الذي حاز جائزة أفضل عرض نشاهد لوحات راقصة للممثلين سحر إبراهيم وايهاب بلاش وذلك بعد أن نسمع ملخصاً للعرض عبر أجهزة الصوت ومفاده أن (الأرض) مهددة بالكثير من المخاطر نتيجة للتعامل السالب مع البيئة. لكن، وإلى أن ينتهي العرض، لا نفهم ما الصلة بين مجموعة من اللوحات الراقصة التى لا رابط بين أولها وأخرها وهذه الحكمة البيئية.

وفي عرض (مونولوج لست شخصيات) للمخرج محمد بعباش تتحول الخشبة إلى حلبة مصارعة عنيفة، أجساد تتعانف بطريقة بدائية وغير فنية، بصورة عشوائية لا تشبه فن الإيحاء والاختزال والتجريد.

إجمالاً، لم يكن بين العروض السودانية ما يلفت، كلها جاءت هشة وهزيلة ويبدو أن للأمر صلة بحقيقة أن المشهد المسرحي كان عاطلاً طيلة الفترة السابقة للمهرجان.

التأليف والنشر المسرحي :

في الفترة التي يغطيها التقرير لم تقدم المكتبة المسرحية السودانية سوى الكتاب الصادر في إطار مهرجان أيام البقعة: (محمد شريف علي : أو بلاغة الضحك) وهو جاء في طبعة متقشفة وفي عدد محدود "نحو ١٠٠٠ نسخة" وحكى عن سيرة الرجل مع التمثيل منذ بداياته الأولى. ثمة كتاب صدر في الشارقة في نوفمبر حول " المسرح الجامعي في العالم العربي" وتضمن دراسة للباحثة والممثلة السودانية تهاني الباشا.

لكن، المجلات والدوريات الثقافية المتخصصة والمسرحية ظلت غائبة علي مدار العام. في الأساس، لا يمكن الحديث عن حركة نشر مسرحي في السودان بخاصة بعد توقف صدور مجلة "الموسيقي والمسرح" وهي لم تصدر سوى ثلاثة أعداد في وقت متأخر من تاريخ كلية الدراما. وإلى وقت قريب كانت بعض المجلات الثقافية التي تصدرها وزارة الثقافة مثل " الخرطوم" و " الثقافة" تتيح مجالاً للمادة المسرحية إلا أن حال هذه المجلات تدهور في الفترة الأخيرة وما عادت تصدر وإن صدرت ففي شكل غير راتب ومع مشكلات في التوزيع وعموماً لا نستطيع الكلام عن حضور للمجلة الثقافية في مشهد العام ٢٠١٠ .

المسرح في الصحافة

لكن، من الممكن الحديث عن حضور لقضايا المسرح في الصحافة. شهدت الملاحق الثقافية سجالات مسرحية عدة إلا أنها تركزت على قضايا ذات طابع عام، يخص المجال المسرحي في علاقته ببعض المؤسسات الرسمسة والخاصة، أي أن ما كُتب في الصحافة لم ينشغل بالعروض المسرحية، على قلتها.

وفي هذا الإطار نجد أن الملحق الثقافي لجريدة الأخبار، على وجه التحديد، أفرد مساحات واسعة، بدءاً من شهر إبريل، وفي أعداد متصلة منه، لحديث إشكالي عن مصادر تمويل " مهرجان أيام البقعة" التابع للمسرحي علي مهدي، واشترك في هذا السجال مجموعة من المسرحيين وغلب على روح الحديث التشكيك في أرقام موازنة المهرجان؛ وراح بعضهم ينتقد الدولة لرعايتها المهرجان، وهو يخصّ " مؤسسة خاصة"، و من دون مراجعته والتدقيق فيما يصرفه من مال على أنشطته.

لم يغب هذا الطابع " الصراعي" في كل حديث أعقب دورات هذا المهرجان المتتالية، وبخاصة الكلام عن نتائج لجنة التحكيم في المسابقة والطعن في مصداقيتها أو نزاهتها وهو ما برز

حاداً في الدورة المنقضية من المهرجان.

الصحافة كانت مسرحاً مهماً أيضًا للسجال حول موضوع " اتحاد الفنون الدرامية"، بدءاً من شهر إبريل أيضًا، إذ كُتبت عشرات المقالات والتعقيبات حول هذا الموضوع ، واستمرت حتى لحظة كتابة هذا التقرير. ويلاحظ هنا أن مجموعة المسرحيين ذاتها التي انتقدت المهرجان وظروف تشغيله انتقلت بكلامها إلى موضوع الاتحاد ومسألة شرعية مكتبه التنفيذي. والكلام هنا توجه أيضًا إلى " علي مهدى".

نادت المجموعة، ولنسمها مجموعة محمد شريف علي، بحل الاتحاد وسحب الثقة من رئيسه ونظمت حملة توقيعات لهذا الغرض وسط المسرحيين وقّع عليها عشرة من ١٢ يتكون منهم المكتب التنفيذي للاتحاد ذاته"!"، وأعقبت خطوتها هذه برفع مذكرة لمسجل الجمعيات الثقافية دعته خلالها إلى تجريد الاتحاد القديم من شرعيته.

فهو منذ تأسيسه، قبل خمس سنوات، لم يدعُ إلى جمعية عمومية في موعدها المحدد في النظام الأساسي، كما أنه لم يحقق الأهداف التي قام من أجلها. وساقت المجموعة جملة من الأسباب الأخرى لتعزيز دعوتها، بينها أن الاتحاد لم يرع مهن الفنون الدرامية ولم يدافع عنها طيلة عمره، إذ لم يتخذ أي موقف من أية قضية تخصّ المجال أو المشتغلين به، ولم يصدر بياناً أو منشوراً في أية مناسبة، علاوة على أنه لم ينظم أي نشاط مسرحي.

وحملت المجموعة بشدّة على رئيس الاتحاد، الذي تصفه بـ "الرئيس الأسبق والسابق والحالي" وحملته المسؤولية في ضعف كيانها. وقال الممثل محمد شريف علي في هذا السياق: "علي مهدي تولى رئاسة اتحاد الدراميين لمدة ٢٠ سنة ولم يفعل أي شيء... لذلك نرى أنه غير جدير برئاسة اتحاد الدراميين". أما مهدي فشدد على شرعية الاتحاد ورئاسته له، مستنداً إلى قانون صدر في العام ١٩٩٦ ينص على عقد الجمعية العمومية بعد خمس سنوات، وحدد على ضوء هذا القانون موعداً لجمعيته مطلع يوليو الماضي. إلا أن مسجل الجمعيات الثقافية دخل على الخط وطلب تأجيلها إلى حين الفصل في الطعن المقدم من جانب مجموعة المسرحيين التي يقودها محمد شريف علي.

وأخيراً، قرر مكتب المسجل، بتوصية من وزير الثقافة، تكوين لجنة تسييرية، تضم ممثلين لطرفي الخلاف، مهمتها جمع اشتراكات الأعضاء والتمهيد لعقد الجمعية وتكوين الاتحاد الجديد، عقب عطلة العيد. وعلى رغم ان هذا القرار وجد قبولاً وسط غالبية مجموعة محمد شريف علي، إلا ان بعضهم رفضه ورأى فيه محاولة لـ «إرضاء الطرفين» وليس عملاً بالقانون.

لكن اللجنة التسيرية لم تجتمع وهي، بالتالي، لم تجمع اشتراكات الأعضاء ولم تحدد موعداً للجمعية العمومية. وعُلم ، أخيراً، أن المجموعة، ومن دون علي مهدي، اقترحت يوم ١٨ / ١٢ موعداً لجمعية عمومية لتكوين المكتب الجديد للاتحاد.

في الأثناء ذاتها، نجح علي مهدي في الحصول على ثقة الدولة في الحلول بمنصب الرئيس في " مجلس المهن الموسيقية والمسرحية" وهو كيان جديد يتبع لوزارة الموارد البشرية، وهي الأخرى حديثة التكوين "٢٠١٠ " وقد حاز علي مهدي على رئاسته بقرار من رئيس الجمهورية.

لكن، ما يُلاحظ هنا، أن قائمة التنفيذين بالمجلس حوت أسماء من المجموعة المناوئة لعلي مهدي في موضوع الاتحاد. بدءاً من محمد شريف علي، قائد المجموعة. طبعاً، تكلم الناس عن دور لعلي مهدي في حضورهم، وإنه ربما يريد كسبهم إلى جانبه.

والملاحظة الفائتة تحث على توسيع القوس أكثر

للإشارة إلى أن المشهد المسرحي السوداني ظل مشروطاً منذ وقت بحال من الاستقطاب السياسي. يجثم الظل السياسي الثقيل على مفاصل العمل المسرحي بأكمله. ويمكن القول أن كل المؤسسات المسرحية الرسميّة محكومة بالولاء الحزبي، بخاصة المسرح القومي؛ فمن يديره يأتيه بالتعيين السياسي وليس انتخاباً يعتمد الدرجة الوظيفية والكفاءة وسنين العطاء وسواها من قيم الخدمة المدنية. من هنا، نجد أن الخطاب المسرحي، على مستوي الصحافة الثقافية بدا متأثراً بهذه الحالة السياسية المشدودة بين الانتماء إلى الحزب الحاكم ومعارضته وليس ثمة موقفا وسطاً بين الاثنين.

ومما يلاحظ أيضاً في السياق ذاته أن الخلاف حول مؤسسات " مستقلة" مثل " اتحاد الفنون الدرامية" أو " الهيئة الدولية للمسرح" لم يخل هو الآخر من ذلك الطيف السياسي. ترجح الأكثرية من المسرحيين أن علي مهدي يجد دعماً من وزراء ووزارات ليحل رئيساً هنا وهناك أو ليقيم مهرجانا مسرحياً سنوياً أو ليسافر وفرقته للمشاركة في مهرجانات مسرحية في مصر وتركيا والفلبين وإيران وأمريكا أو ليرشح فرقاً لمهرجانات مسرحية في القاهرة وعمان وسواها من عواصم عربية .

لكن، يبدو لنا أن ثمة، في هذا الجانب، ما يملكه علي مهدي غير علاقته بالحزب الحاكم ويفتقره سواه؛ فعلاقته بالحزب الحاكم بالكاد تبدو واضحة قياساً علي علاقة العديد من المسرحيين، بخاصة وسط دكاترة كلية الدراما، إلا أن هؤلاء أكثر الناس ضيقاً مما يحدثه الرجل، بخاصة أنه لم يحصل علي الامتياز الأكاديمي الذي لديهم : الدكتوارة، ومع ذلك هو الأكثر حضوراً ونفوذاً!

المشاركات المسرحية الدولية :

تاريخ مشاركات المسرح السوداني في المهرجانات الدولية حديث نسبياً، وهو محدود أيضًا، إذ لا يتجاوز الفضاء العربي غالباً، وخلال العام ٢٠١٠ حافظ السودان علي حضوره في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي (١٠ إلي ٢٠ أكتوبر) ، لكن مشاركة هذه السنة شهدت أحداثاً أقلّ ما يمكن أن توصف به بأنها غريبة وعجيبة.إذ تفاقمت الخلافات وسط موظفي "المسرح القومي" حول المشاركة في المهرجان عقب صدور قرار من لجنة تحكيمية كوّنها مدير المسرح، مفاده أن العروض التي قدمت للمشاركة في المهرجان المصري "غير موفقة"!

والعروض قُدمت من ممثلين ومخرجين بالفرقة القومية كي يتم انتخاب واحد منها للمشاركة في المهرجان.

على أن الثغرة كانت واضحة في الحيثيات التي قدمتها اللجنة التحكيمية؛ فهي مكتوبة بلغة ضعيفة جدا، لم تخل من أخطاء نحوية وإملائية، علاوة على أنها تضمنّت قيماً نقدياً ركيكة ومتخلفة. من هنا، كان إحتجاج أعضاء الفرقة معقولاً وهم عبّروا عن إحتجاجهم في عريضة طعن رفعوها إلى مدير المسرح.

لم يرفض مدير المسرح قرار اللجنة، المكونة في معظمها من أساتذة متخصّصين يدرسون في كلية الدراما، لكنه لم يحسم الأمر نهائياً وأبقاه معلقاً. اذ طلب من المخرجين، بعد تسلّمه عريضة طعنهم، التشاور في ما بينهم لحل المشكلة حتى "لا تضيع فرصة السودان في المشاركة بالمهرجان".

وكانت اللجنة المحكمة أرفقت قرارها السلبي باقتراح مفاده أن علي المسرح القومي اختيار العمل الحائز علي جوائز الدورة الأخيرة من " مهرجان أيام الخرطوم المسرحية" وهو "سكة على ظهر النهر" للمخرج والمؤلف ذو الفقار حسن عدلان.

بيد أن هذا العمل لفرقة خاصة، والمشاركة الرسمية في المهرجانات العربية تخص الفرقة الرسمية وهي " الفرقة القومية للتمثيل"، وهذا هو

ما قيل في الأيام الأولي، إلا أن مدير المسرح قرر اعتماد مشاركة هذه الفرقة الخاصة بدلاً من الرسمية. وعلى رغم أن ذلك لم يكن مرضياً لأعضاء الفرقة القومية إلا أنه حصل فعلاً وشاركت الفرقة الخاصة بعرضها ذاته في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي .

المشاركة الثانية في ذات المهرجان كانت من نصيب فرقة " هزار" وهي فرقة خاصة أيضاً وقدمت في المهرجان مسرحية " دافور سيراً على الحبل" من تأليف أحمد رضا دهيب وإخراج سيد أحمد أحمد.

وفي ما يتصل بهذه الدورة من مهرجان القاهرة التجريبي يلاحظ أيضًا ورود اسم د. فضل الله أحمد في لجنة التحكيم بالمهرجان، وهي المرة الأولي التي يشارك فيها سودانياً بلجنة التحكيم في المهرجان الذي تجاوز العقدين من الزمان. كما شارك د. عثمان البدوى في الملتقي الفكري.

وفي مشهد المشاركات الدولية أيضًا، ثمة مشاركة لفرقة " البقعة" التابع لعلي مهدي في الولايات المتحدة الأمريكية بمسرحية " بوتقة سنار " في إطار فعالية إقامتها مجموعة مسرح الاتصال الأمريكية ومكتب الهيئة الدولية للمسرح ITI في أمريكا واستمرت لأسبوعين بدءاً من ٢٥ سبتمبر.

وتابعت "الورشة الجوالة" . وهي فرقة حديثة التأسيس . علاقتها بمهرجانات المسرح الجامعي في المغرب اذ شاركت في مهرجان الدار البيضاء الدولي للمسرح الجامعي في الفترة ١٠/٧ إلى ١٥/٧ بمسرحية " وطن أو وطن" تأليف أحمد صالح وإخراج ربيع يوسف.

أخيراً نذكر مشاركة فرقة " كوتو" بمسرحية " مأساة يرول" تأليف الخاتم عبد الله وإخراج السماني لوال بملتقي المسرح العربي في إمارة الشارقة في السادس من يناير ووجدت مشاركتها أصداء إعلامية ونقدية كبيرة.

وكنا نوّهنا، فى مفتتح التقرير، إلى مشاركة فرقة " المسرح التنموي" في "مهرجان دمشق للفنون المسرحية" بدعم من وزارة الثقافة، ثم مشاركة "الفرقة القومية للتمثيل" في " مهرجان الجزائر للمسرح المحترف" ومهرجان " ٢٤ ساعة مسرح دون انقطاع " في المملكة المغربية.

إذن، بلغت مشاركات المسرح السوداني في مهرجانات المسرح الدولية، خلال ٢٠١٠ ثماني مشاركات فقط، وكلها لم تحرز جوائز أو ترشيحات لجوائز أو أصداء لافتة إلا في مشاركتين، الأولي مشاركة مسرحية " مأساة يرول" التي حصدت أصداء نقدية مهمة ولافتة، والثانية مشاركة مسرحية " وطن أو وطن" في مهرجان الدار البيضاء للمسرح الجامعي فقد حازت تنويهاً من قبل لجنة التحكيم.

المسرحيات الجماهيرية

لا تنتج وزارة الثقافة العروض المسرحية إلا للفرقة القومية للتمثيل، تلك هي القاعدة. ولكنها تتيح خشبة المسرح القومي للفرق الخاصة عبر صيغة إنتاجية تنص علي أن يقوم "المسرح القومي/ التابع لوزارة الثقافة/ بطباعة التذاكر ودفع تكلفة الإعلان عن العرض المسرحي في التليفزيون والإذاعة وإتاحة الخشبة فيما تدفع الفرقة الخاصة للممثلين وتكلفة الأزياء والفنيات الأخرى، ويأخذ المسرح ما نسبته ٣٠٪ من عائد العرض المسرحي.

لكن، هذه الصيغة غير مستقرة، وهي مشروطة بما يجده المسرح القومي من الموازنة العامة، ولعل من المهم أن نذكر هنا أن " المسرح القومي" كان بادر السنة الماضية "٢٠٠٩" وأحدث برنامجاً للعروض "التجريبية" ودفع تكلفة إنتاجها كاملة (وهي تكلفة لا تتعدى ٤ آلف دولار) وأتاحها للجمهور مجاناً. بيد أن التجربة لم تستمر خلال سنة ٢٠١٠ ولم نشهد سوى عرضا يتيما هو "

طقس الدم" لفرقة " جذور" وهو من اخراج جاستن جون، وقدم في الفترة ١٣ ـ ٢٣ يناير بمسرح الفنون الشعبية .

إذن، تحت ضغط ضعف الميزانية المخصصة، لم تجد إدارة المسرح سوى إيقاف العروض المسرحية، في بعض الأيام، و تأجير الخشبة لحفلات التخرج لطلاب الجامعات وحفلات الفرق الموسيقية لتغطى بعائدها احتياجاتها اليومية، ولعل الصيغة الإنتاجية التي فرضتها علي الفرق المسرحية الخاصة نابعة من هذا الواقع الشحيح.

عموماً، مجمل ما قُدم علي خشبة المسرح القومي من المسرحيات " الجماهيرية" ـ وتسمي التجارية أيضًا ـ لم يتعد أصابع الكف الواحدة وبالترتيب هي: مسرحية "الحصة الثانية" تأليف عادل إبراهيم محمد خير وإخراج مصطفي أحمد الخليفة وقدمت في ١٧ ـ ٢٧ فبراير، ثم مسرحية " من سيربح الوزارة" تأليف نصر الدين عبد الله وإخراج السر محجوب في ٥ ـ ٢٥ مايو، ثم مسرحية " آخر بت في الدنيا " تأليف وإخراج عبد الرحمن مهدي ١٤ ـ ٢٤ يوليو ، ثم مسرحية " "بنات في ورطة" تأليف أحمد دفع الله وإخراج بدر الدين عبد العزيز وهي بدأت في مطلع أكتوبر ولكنها لم تكمل أيامها المعدودة " عشرة أيام" وأعقبتها مسرحية " بيضة أم كتيت" تأليف وإخراج مصطفي عبد الكريم ، في شهر نوفمبر وهي الأخرى توقفت سريعاً متأثرة بضعف الحضور الجماهيري.

وفي أثناء كتابة التقرير، أي مطلع شهر ديسمبر، بدأت عروض مسرحية جماهيرية جديدة بعنوان " أبيض وأسود" من تأليف وإخراج محمد نعيم سعد، ولكنها من إنتاج شركة خاصة واستغلت مسرحاً آخر غير المسرح القومي.

وفي حال هذه المسرحيات " الجماهيرية" أو " التجارية" يمكن القول أنها تشترك، مجتمعة، في ضعف الحضور الجماهيري، وهي تشترك في هزالها فنياً ـ نستثني بيضة أم كتيت ـ إذ أنها مصممة، شكلاً ومضموناً، بخفة شديدة، مشغولة بنكات تافهة وإيحاءات جنسية فجة، علاوة على الكثير من الاستعراض السهل و الرقص المجاني، وكل ذلك، يُمرر على أساس أن " الجمهور عايز كدة" .

الحراك النقدي

عدا القراءات النقدية التي نُظمت في إطار مهرجان " أيام البقعة المسرحية" لم تشهد الساحة المسرحية السودانية أي حراك نقدي. يمكن القول هنا، أن غياب المجلات والدوريات أدى دائما إلي غياب المساهمات النقدية العلمية، وبنظرة إلي الحراك النقدي خلال العام ٢٠١٠ نجد أنه لم يتتبع ما قُدم من عروض، على قلتها، وكل ما كُتب في الصحف يدخل في باب المواد الخبرية والتقريرية، أو هو عبارة عن سجالات حول " الاتحاد" و "مهرجان البقعة" ..إلخ.

خلاصات وملاحظات

- بقراءة المعطيات، نجد أن المسرح السوداني تراجع كثيراً في سنة ٢٠١٠ ؛ فعلي صعيد المؤسسة الرسمية نجد أن المسرح القومي لم ينتج في برنامج "المسرح التجريبي" سوى عرضاً واحداً خلال ٢٠١٠ وهو قد أنتج ستة عروض في العام ٢٠٠٩ وفيما نجد أن الفرقة المسرحية الرسمية قدمت عملين السنة الماضية " أي ٢٠٠٩" فأنها لم تنتج شيئاً في هذه السنة. والمكتبة المسرحية حفلت السنة الماضية بكتابين أصدرهما مهرجان البقعة وهو لم يصدر سوى كتابًا واحدًا هذه السنة. وعلى رغم أن حجم المشاركات الخارجية أكبر خلال هذه السنة إلا أن الإشكاليات المصاحبة لهذه المشاركات كانت أكثر.
- أكثر القضايا المسرحية تناولاً وطرحاً :

"تأسيس اتحاد جديد للدراميين" و "مهرجان أيام البقعة".

- ثمة إشكاليات لا تحصي في البني التحتية. خشبة المسرح القومي هي الوحيدة المتاحة، وهي تعمل بمقومات فنية رديئة ومنتهية الصلاحية " الإضاءة ، الصوت، الكواليس ، غرف الأزياء والمكياج"، علاوة علي أن صالتها مكشوفة ومتأثرة دائمًا بالطقس ومن الصعب العمل عليها في الخريف والشتاء.
- الفرق المستقلة تعاني من نقص التمويل وعدم توافر صناديق دعم وطنية وهي تضحى بالكثير عندما تقيم علاقات طارئة في معظمها مع منظمات غوث وتنمية كي تجد دعماً لمشاريعها.
- ضعف حضور المعلومات المتعلقة بالمسرح السوداني علي الإنترنت
- ضعف الحضور المسرحي على مستوي أجهزة الإعلام المؤثرة كالتليفزيون والإذاعة
- ضعف الإهتمام العربي بالمسرح السوداني

فحتىّ مصر القريبة لا علاقات مسرحية لها مع السودان إلا على مستوى مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، ومنظمات مسرحية مثل " الهيئة الدولية للمسرح" أو " الهيئة العربية للمسرح" غير معروفة إلا لقلة من المسرحيين السودانيين، وللمفارقة، هم : من يديرون مكاتبها في الخرطوم.

- إمارة الشارقة، ممثلة في دائرة الثقافة والإعلام، بدأت تهتم بالمسرح السوداني أخيراً وخلال سنة ٢٠١٠ دعت فرقة كواتو إلى افتتاح ملتقي المسرح العربي، كما دعت الرائد في مسرح الطفل موسي الأمير لـ " ملتقي مسرح الطفل" في ٢٤ نوفمبر وهي، أي الدائرة، استكتبت الباحثة والممثلة تهاني الباشا في موضوع " المسرح الجامعي" كما كانت اشترت وطبعت خمسة نصوص مسرحية سودانية في العام السابق.
- وخيط الإشكاليات لا ينتهى هنا. ولكن، التقرير ينتهى .